العرب
الثلاثاء 2019/12/17
السنة 42 العدد 11561

بريكست ليس مأزق بريطانيا الوحيد في المرحلة المقبلة

الأحزاب القومية تتقدم في أيرلندا الشمالية وصوت الانفصال يعلو مجددا في اسكتلندا

فيما تتخوف أوروبا مما قد يحمله خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي من تداعيات سلبية تهدد وحدة النادي الأوروبي، فإن منابر بريطانيا بدأت تحذر بجدية مما قد يحمله نصر المحافظين ونجاح البريكست من تهديد للوحدة البريطانية، خصوصا وأن الانتصار الساحق للمحافظين ترافق مع ظاهرة أخرى تتمثل في ارتفاع أسهم القوى القومية في أيرلندا الشمالية واسكتلندا.

لندن – للمرة الأولى منذ انفصال أيرلندا عام 1918 يتخوف البريطانيون مما تحمله بذور الانتخابات التشريعية الأخيرة من أعراض قد تؤدي إلى تفكك المملكة المتحدة. فالنتائج التي خرجت بها صناديق الاقتراع في الانتخابات المبكرة، في 12 ديسمبر 2019، رفعت تمثيل الأيرلنديين القوميين على حساب أولئك الوحدويين المتمسكين بالروابط مع لندن، كما منحت الحزب القومي الاسكتلندي انتصارا كاسحا أتاح لرئيسة الوزراء في اسكتلندا نيكولا ستورجيون تكرار المطالبة باستفتاء للانفصال عن بريطانيا.

ويسلط مايك نيسبيت، الزعيم السابق لحزب الستر الوحدوي في أيرلندا الشمالية، الضوء على مفارقة كبرى بقوله "إن خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي هو أكبر هدف للوحدويين، غير أن نتيجة هذه الانتخابات قد تؤسس لنهاية المملكة المتحدة".

> وفق ما حققه الحزب الديمقراطي الوحدوي فإنه قد يميل إلى إعادة إحياء مجلس الحكم الذي انهار عام 2017. وقد يجد الوحدويون في حزب شين فين شريكا محليا

ولأول مرة في التاريخ، لا يحتل الوحدويون أغلبية المقاعد الـ18 لأيرلندا الشمالية في مجلس العموم البريطاني. فقد نال الحزب الديمقراطي الوحدوي 8 مقاعد مقابل 10 مقاعد فازت بها الأحزاب القومية، وأشهرها حزب شين فين.

تشهد المملكة المتحدة ارتفاعا في أعداد الكاثوليك الذين يشكلون البيئة الحاضنة للحركات الداعية إلى الانفصال عن العرش البريطاني على مر التاريخ، مقابل تضاؤل أعداد البروتستانت المتمسكين بالوحدة مع بريطانيا.

ديموغرافيا متغيرة

تكشف الديمغرافيا أن الغالبية العظمى من المتقاعدين هم من البروتستانت، وغالبية تلاميذ المدارس هم من الكاثوليك. وتخلص توقعات الديموغرافية إلى أن توازن أعداد الطائفتين سينتهي عام 2021. وهنا يجدر التذكير بأن اتفاق الجمعة العظيمة الذي أنهى الحرب الأهلية ينص على إمكانية الوحدة مع الجمهورية الأيرلندية إذا ما أيدت الغالبية ذلك.

والمشهد في اسكتلندا أكثر سخونة، حيث باتت نيكولا ستورجون، زعيمة الحزب القومي الاسكتلندي، تملك شرعية واسعة لرفع الصوت للمطالبة بالانفصال عن التاج البريطاني. وفاز حزبها بـ48 مقعدا من أصل 59. وحظي بـ45 بالمئة من مجمل أصوات الاسكتلنديين، بما يجدد تفويض ستورجون وحزبها بمقارعة لندن والمطالبة باستفتاء جديد. فالوحدة يجب أن تكون خيارا لا جبرا، وفق تصريحات الزعيمة القومية.

وقد لا تذهب أيرلندا إلى خيار الانفصال الفوري فذلك دونه تاريخ دموي من الحرب الأهلية التي لا يريدها أحد أن تطل من جديد. وكان الحزب الديمقراطي الوحدوي متمتعا بقدرته على تعطيل أي اتفاقات دولية تطول أيرلندا الشمالية عبر حق الفيتو، وهو في نفس الوقت كان ينتظر من لندن ومن رئيس الوزراء هناك، لاسيما في عهد تيريزا ماي، المزيد من الامتيازات لمنح المحافظين تحالفا يتيح حكم البلاد. الآن لم يعد بوريس جونسون يحتاج إلى هذا النوع من الابتزاز.

التخوف الأيرلندي يكمن في هذا الاتفاق الذي أبرمه جونسون مع الاتحاد الأوروبي. الأغلبية التي فاز بها زعيم المحافظين في الانتخابات الأخيرة تجعل من تمرير الاتفاق عبر مجلس العموم البريطاني تفصيلا.

الاتفاق سيفرض نقاط تفتيش بين بريطانيا وأيرلندا الشمالية إذا ما اختارت الأولى عدم الالتزام بالمعايير الأوروبية، ونقاط التفتيش ستكون إجبارية إذا ما أريد منع وجود حدود بين الأيرلنديتين.

اتفاقية خيانة

سبق للوحدويين المتطرفين في أيرلندا الشمالية أن وصفوا صفقة جونسون مع الاتحاد الأوروبي بأنها "اتفاقية خيانة". ووفق ما حققه الحزب الديمقراطي الوحدوي فإنه قد يميل إلى إعادة إحياء مجلس الحكم الذي انهار عام 2017. وقد يجد في الشين فين شريكا محليا.

الانتصار التاريخي لحزب المحافظين منذ ذلك الذي تحقق بزعامة مارغريت ثاتشر عام 1987 قد حسم مسألة البريكست وحقق حلم بوريس جونسون بإخراج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي. وبدا أن داخل ذلك الانتصار تصويتا يائسا قد تم التعبير عنه لدى الحاضنات العمالية التاريخية في شمال إنكلترا وميدلند وويلز، وهو تصويت يريد إخراج البلد من حالة الشلل التي أصيبت بها منذ الاستفتاء على بريكست عام 2016. بيد أن الخروج من أوروبا سيضع بريطانيا في مواجهة نفسها.

والظاهر أيضا أن فوز جونسون الساحق قد كشف سريعا عن الوجه الآخر لقرار الخروج من الاتحاد البريطاني. وسبق أن تم التحذير من أن انفصال بريطانيا عن أوروبا سيشرع الباب أمام احتمالات انفصال عن التاج البريطاني نفسه.

تطالب اسكتلندا منذ عقود بذلك دون أن تنجح الاستفتاءات بتمرير ذلك. وها هي المشكلة الأيرلندية تطل برأسها من جديد متجاوزة ما حققته اتفاقية الجمعة العظيمة عام 1998 ملوحة بأن حقائق الديموغرافيا قد تفرض قواعدها بحيث لا يعود وجود أيرلندا الشمالية داخل المملكة المتحدة قدرا لا بديل عنه.

أعراض التفكك تهدد المملكة المتحدة

ويسلط المراقبون المجهر على انكشاف بريطانيا المقبل أمام استحقاقات داخلية لطالما كانت مؤجلة بسبب الاشتغال الداخلي على قطبية البقاء والخروج من أوروبا. ويعتبر هؤلاء أن أمام البلد مرحلة انتقالية صعبة ستحدد وجهة لندن صوب البقاء داخل الحيز الأوروبي من خلال اتفاقات جديدة مع الاتحاد الأوروبي، أو القطع مع أوروبا والذهاب باتجاه خيارات أطلسية تربط البلد بالولايات المتحدة.

ويخلص هؤلاء إلى أن نزوع اسكتلندا نحو خيار الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي والانفصال عن المملكة المتحدة، وارتفاع نسب من يتطلع في أيرلندا الشمالية إلى الالتحاق بالجمهورية الأيرلندية العضو في الاتحاد الأوروبي، يعني أن طلاق بريطانيا عن أوروبا قد يفجر داخل بريطانيا نفسها تيارا أوروبيا يصدع البنيان الوحدوي لبريطانيا.

جونسون يدشن عقدا جديدا من هيمنة حزب المحافظين

لا شيء يعيق البرلمان البريطاني عن مباركة بريكست

علي قاسم
كاتب سوري
مقيم في تونس

انتهت الحملة التي قادها المعارضون لوقف خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، وهي تتجه الآن نحو "عقد جديد من هيمنة حزب المحافظين". حدث ذلك بفضل رجل واحد هو، بوريس جونسون، كما يقول الصحافي البريطاني، آدم بينكوف، ويشاركه الرأي كثيرون.

لقد أعاد رئيس الوزراء البريطاني رسم خارطة المملكة المتحدة الانتخابية، بفوز مدوّ على حزب العمال في انتخابات 12 ديسمبر، منهيا بذلك فوضى وجدلا وتبادل اتهامات على مدى ثلاث سنوات، تلت التصويت عام 2016 للخروج من الاتحاد الأوروبي، بين طرف مؤيد وآخر رافض حاول أن يصوّر الانسحاب من الاتحاد "قيامة" تنهي بريطانيا وتدمر اقتصادها.

واختارت بريطانيا حينها الخروج من المشروع الأوروبي بأغلبية ضئيلة. ومنذ الاستفتاء يناقش المسؤولون البريطانيون جدوى قطع العلاقات مع الدول الـ27 الأعضاء في التكتل.

تغيّر كل شيء في اللحظة التي أعلن فيها عمدة لندن السابق، بوريس جونسون، دعمه حملة الخروج من الاتحاد الأوروبي. راهن جونسون على شعبيته الكبيرة لدى الرأي العام البريطاني. ولم يصغ لرئيس الوزراء السابق، ديفيد كاميرون، الذي حاول إقناعه بالوقوف إلى جانب الحكومة من أجل البقاء في الاتحاد الأوروبي. وكانت استطلاعات الرأي تؤكد أن وقوف جونسون مع الجانب المدافع عن الخروج، سيكون له تأثير كبير على الناخب البريطاني.. وهذا ما حدث.

الذين منحوا أصواتهم لصالح خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي في استفتاء عام 2016، عادوا إلى صندوق الاقتراع وهم أكثر عزما على التصويت لصالح المحافظين، وانضم إليهم العديد من أنصار حزب العمال.

سر نجاح جونسون يكمن، حسب بينكوف، في قدرته على أن "يقول أشياء لا يستطيع الآخرون قولها. ورغم أن تصريحاته تكون أحيانا غير موفقة ولها نتائج عكسية، إلا أن الناس لا ينسونه".

قبل دخوله إلى عالم السياسة، كان جونسون صحافيا ناجحا. وخلال فترة توليه منصب عمدة لندن كان أجره كصحافي يفوق ما كان يجنيه من وظيفته السياسية. وبعد ثماني سنوات عمل فيها عمدة لبلدية لندن، عاد عام 2015 إلى البرلمان نائبا.

عرف عن جونسون اختررتم مرشحا للمحافظين، فإن زوجته ستجري عملية تكبير لصدرها، وستزداد حظوظها بامتلاك سيارة 'بي.أم.دبليو. أم 3". وظهر عام 2012 في شريط فيديو خلال دورة الألعاب الأولمبية في لندن عالقا في عربة نقل بالكابلات فوق حشد من الناس في حركة وصفت بالبهلوانية. وكانت بالنسبة للكثيرين لحظة لا تنسى، وقد حصد هذا الفيديو ملايين المشاهدات.

صورة جونسون كمنتصر عززها فوزه بمنصب عمدة لندن خلال عام 2008، على حساب مرشح حزب العمال كين ليفينغستون، كان ذلك أول فوز كبير للمحافظين منذ عام 1997، وفوزه مرة ثانية عام 2012 متقدما على نفس المرشح. واليوم، بينما يتجرع حزب العمال مرارة أسوأ هزيمة له منذ ما قبل الحرب العالمية الثانية. يثبت جونسون، الذي يتمتع الآن بأغلبية برلمانية كبيرة، بعد أكبر فوز لحزبه المحافظ منذ عهد مارجريت تاتشر قبل 32 عاما، أنه سيد المشهد السياسي في لندن بلا منازع. وبإمكانه أن يتفرغ، بعد إكمال الخروج من الاتحاد الأوروبي بحلول نهاية يناير المقبل، لإعادة تشكيل الاقتصاد البريطاني.

أول التشريعات التي سيصوت عليها النواب الجدد سيكون قانون اتفاق الانسحاب. فلا شيء يعيق الآن البرلمان البريطاني لإعطاء الموافقة على اتفاق الطلاق الذي أبرمه جونسون مع بروكسل، كي تخرج بريطانيا في 31 يناير وتكافئ "ثقة الناس بتنفيذ بريكست"، دون مزيد من التأخير.

> فوز المحافظين يؤكد الظاهرة الآخذة في الانتشار بالعالم، وهي انحسار المد الاشتراكي، وهزيمة اليسار، وأن الشعبوية يعلو صوتها فوق الجميع

فوز المحافظين يؤكد الظاهرة الآخذة في الانتشار بالعالم، وهي انحسار المد الاشتراكي، وهزيمة اليسار، وأن الشعبوية يعلو صوتها فوق الجميع.

تخلى جونسون عن طباع المحافظين وما عرف عنهم من حرص، حينما يتعلق الأمر بالوعود الانتخابية، ووعد ببرنامج إنفاق اجتماعي ضخم، خلال حملته التي استمرت خمسة أسابيع، سعيا لجذب الأصوات المستقبلية للناخبين التقليديين من أنصار حزب العمال، الذين حولوا ولاءاتهم ومنحوا أصواتهم للمحافظين.

ويتضمن البرنامج الجديد لجونسون أول التزام قانوني بزيادة الإنفاق على "هيئة الخدمات الصحية الوطنية" (أن.آتش.أس). في خطوة الهدف منها تبديد المخاوف من انتهاء عهد الرعاية الصحية المجانية، وتعتبر أيضا ردا على اتهامات وجهها زعيم حزب العمال، جيرمي كوربين، للمحافظين، قائلا إن لديه أدلة على محادثات سرية أجرتها حكومة جونسون مع واشنطن، بشأن برنامج الخدمات الصحية، والتعامل مع قطاع صناعة الأدوية الأميركي في مرحلة ما بعد بريكست.

ورغم تصدر الخدمات الصحية الوطنية اهتمامات الناخب البريطاني بكافة انتماءاته السياسية، فشلت اتهامات كوربين في إنقاذ حزبه أمام صناديق الاقتراع.

ورأى الكثيرون أن نتائج الانتخابات تعكس التأييد الساحق من الناخبين لفكرة الولاء للقومية البريطانية، ورسالة لهؤلاء الذين اعتقدوا أن مفهوم "القومية" عفى عليه الزمن.

لكن، الموضوع لا علاقة له بالقومية، البريطانيون توقفوا منذ زمن بعيد عن النظر لأنفسهم بوصفهم قومية، بريطانيا بالنسبة لهم وطن، وخيارهم الانسحاب من الاتحاد الأوروبي هو خيار وطني بالدرجة الأولى. وهو هزيمة للاشتراكية وقوى اليسار بالدرجة الثانية.

لقد قدم كوربين للناخبين البريطانيين حجما من الوعود يكفي حسب ظنه لشراء أصواتهم، من ضمنها المزيد من الإنفاق على خدمات الصحة الوطنية، وتأميم قطاعات السكك الحديدية والمياه والطاقة، وهي وعود لم تلق قبولا أو صدى لدى الناخب البريطاني. الخطيئة الكبرى التي ارتكبها كوربين هي "صهر حزب العمال داخل بوتقة الاشتراكية"، ليصبح الحزب رهن سيطرة اليسار المتشدد، وهي القوى التي فقدت مصداقيتها، وفقدت معها أيضا القدرة على إقناع الناخبين المعتدلين.

ناضلت بريطانيا طويلا ضد هيمنة النقابات، التي شلت في الماضي البلاد، ولم تعد الاحتجاجات والمسيرات تغري الشارع البريطاني، الذي بات يفضل التعامل مع لغة وسطية تعتمد الإقناع في حل مشاكله، وهي لغة يجهلها كوربين ويتقنها جونسون.

بريطانيا.. مشوار الألف ميل

بهاء العوام
صحافي سوري

فوز المحافظين في الانتخابات البريطانية الأخيرة يضع خروج المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبي على بداية الطريق وليس في نهايته. هذا الفوز هو بداية تنفيذ الخروج الذي قرره البريطانيون في الاستفتاء المصيري عام 2016. بداية متأخرة للتنفيذ ولكنها جاءت أخيراً، ليبدأ مشوار الألف ميل في طلاق صعب لزواج استمر عقودا طويلة.

موافقة البرلمان البريطاني على خطة رئيس الوزراء بوريس جونسون هي الخطوة الأولى في رحلة الخروج الطويلة.

لن تكون مهمة سهلة بالنسبة لبوريس جونسون والبريطانيين عموما. هكذا وصف الأوروبيون المسألة رغم انفتاحهم عليها.

لم يضعوا شروطا مسبقة في المفاوضات المقبلة مع لندن، ولكنهم قالوا إن المفاوضات ستخوض في تفاصيل كثيرة. والشيطان يكمن في التفاصيل.

كيف تبقى المملكة المتحدة دولة موحدة تحتل المرتبة الخامسة عالميا باقتصادها؟ هذا هو السؤال الذي تحتاج حكومة المحافظين للإجابة عليه. هي معادلة صعبة منذ اللحظة الأولى لقرار الخروج عام 2016. ولكنها لم تعد مستحيلة بعد أن أصبح للمحافظين أكثرية ساحقة في البرلمان تجعل المؤسستين التشريعية والتنفيذية تتكاملان وتتكاتفان، بدل أن تتحاربا. فالعمل المشترك لهما مع المؤسسة القضائية هو أساس النجاح.

إذا فهم المحافظون أكثريتهم النيابية بغير هذا السياق، فهم يرتكبون خطأ جسيماً لن يغفره البريطانيون أبداً.

لا يمكن أن تدور المفاوضات بين لندن وبروكسل بمعزل عن كل المشكلات التي تعاني منها المملكة المتحدة. لا يمكن أن تتجاهل هذه المفاوضات القلق من انفصال الإسكتلنديين والأيرلنديين. ولا يمكن أن تغمض عينيها عن الفقر المتمدّد في البلاد، أو التراجع في الخدمات الصحية، وكذلك الخوف من تكاثر العمليات الإرهابية بسبب الاقتطاع من ميزانية الشرطة والأمن.

يعرف الأوربيون جيداً حجم الأعباء التي يحملها جونسون على كاهله وهو قادم للتفاوض معهم. تماماً كما يعرفون نقاط قوته وأوراقه الرابحة التي سيضعها على طاولة المفاوضات، وفي مقدمتها الأكثرية النيابية القادرة على تمرير أي اتفاق يبرمه مع بروكسل تحت قبة البرلمان البريطاني.

يخشى الأوروبيون خسارة بريطانيا كما يخشون نجاح استقلالها عن الاتحاد. دولة بقوة المملكة المتحدة الاقتصادية والعسكرية والسياسية والأمنية، يصعب التخلي عنها ويصعب أيضا رؤيتها تكبر وتزداد نفوذا، فتتحول بعد قليل إلى منافسة شرسة لقادة التكتل وعلى رأسهم فرنسا وألمانيا.

ليس من قبيل الصدفة أن تكون المملكة المتحدة خامس أكبر اقتصاد حول العالم، ولا أن تساهم بأكثر من عشرة بالمئة من ميزانية حلف شمال الأطلسي. كذلك أن تبدي العديد من دول العالم وتكتلاته استعدادها لإبرام اتفاقية تجارة حرة معها، وعلى رأسها الولايات المتحدة.

يحتاج الأوروبيون إلى الاتفاق مع البريطانيين حول الأمن والتجارة والهجرة وكل شيء، ويحتاج البريطانيون إلى هذه الاتفاقات بنفس القدر إن لم يكن أكثر. هذه الاتفاقات هي التي ستمنع استقلال إسكتلندا أو أيرلندا الشمالية، وهي التي ستحافظ على العمق الأوروبي للندن دون وصاية أو تبعية.

قد تنجز اتفاقيات طلاق لندن وبروكسل خلال عام واحد. وقد تحتاج إلى عامين لتنجز جميعها. لن يمانع أحد الاستفاضة في التفاوض سعياً نحو أفضل الصيغ. ومهما كانت الطريق إلى النهاية شاقة ووعرة، فلن يمل الطرفان مشوار الألف ميل الذي يترقب الجميع خطوته الأولى قريباً.